المكتبة الخضراء للأطفال

٣٦

سر اللحية البيضاء

قصص عربية

Arabic Stories



بقلم : يعقوب الشاروني

دار المعارف

المكتبة الخضراء للأطفال

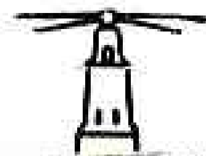
(٣٦)

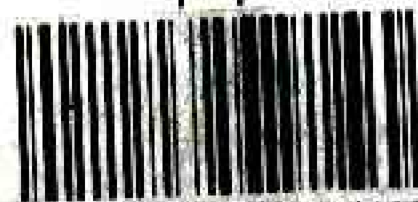
سر اللحية البيضاء



بقلم: يعقوب الشارونى

الطبعة السادسة







يُحْكَى أنَّ سَيِّدَةً عَجُوزًا، كانَتْ تَعِيشُ فِى بَيْتٍ صَغِيرٍ، قُرْبَ غابَةٍ كَبِيرَةٍ. وكانَ للسَّيِّدَةِ ابْنَتَانِ، هُما وَرْدَة وَزَهْرَة.

وَلَمْ يَكُنْ بِالقُربِ مِنْ بَيْتِ الأسْرَةِ جِيرانٌ كَثِيرُونَ، فكانَتِ الأسْرَةُ تَقْضِى مُعْظَمَ وَقْتِها فى صُحْبَةِ خَرُوفٍ صَغِيرٍ، وَحمامَةٍ بَيْضَاءَ.

وَذاتَ صَباحٍ، كانَتْ وَرْدَةُ تُعِدُّ الشَّاىَ فَوْقَ المَوْقِدِ، وَزَهْرَةُ تَغْسِلُ أوَانِى المائِدَةِ، بَيْنَما تَقُومُ الأمُّ بِإعْدَادِ فَطِيرَةٍ مِنَ الدَّقِيقِ وَعَسَلِ النَّحْلِ، عِنْدَما ظَهَرَ فَجْأَةً، خارِجَ نافِذَةِ المَطْبَخِ المَفْتُوحَةِ، شَبَحٌ ضَئِيلٌ. وَالْتَفَتَ الثَّلاثَةُ مَعًا يَتطَلَّعُونَ إلَيْهِ، لَكِنَّ الشَّبَحَ أسْرَعَ يَخْتَفِى بَعِيدًا عَنِ النَّافِذَةِ.

صَاحَتْ وَرْدَةُ : «إِنَّهُ قَزَمٌ ضَئِيلٌ مُضْحِكُ الشَّكْلِ ، لَهُ لِحْيَةٌ بَيْضَاءُ، طَوِيلَةٌ» .

وَسَادَ الصَّمْتُ لَحْظَةً، ثُمَّ قَطَعَتْهُ زَهْرَةُ قائِلَةً : «لَقَدِ الْتَقَتْ عَيْنَاىَ بِعَيْنَيْهِ، فَلَمْ أَطْمَئِنَّ لِنَظَراتِهِ !» .

وَتَطَلَّعَتِ الأُمُّ فى دَهْشَةٍ إِلَى زَهْرَةَ، ثُمَّ قالَتْ فى هُدُوءٍ : «لَعَلَّهُ جائِعٌ، جَذَبَتْهُ إِلَيْنَا رَائِحَةُ الطَّعَامِ» . وهُنا أَسْرَعَتْ وَرْدَةُ تقُولُ : «هَيَّا نُنادِيهِ، فَلا يَصِحُّ أَنْ نَتْرُكَهُ جائِعًا» .

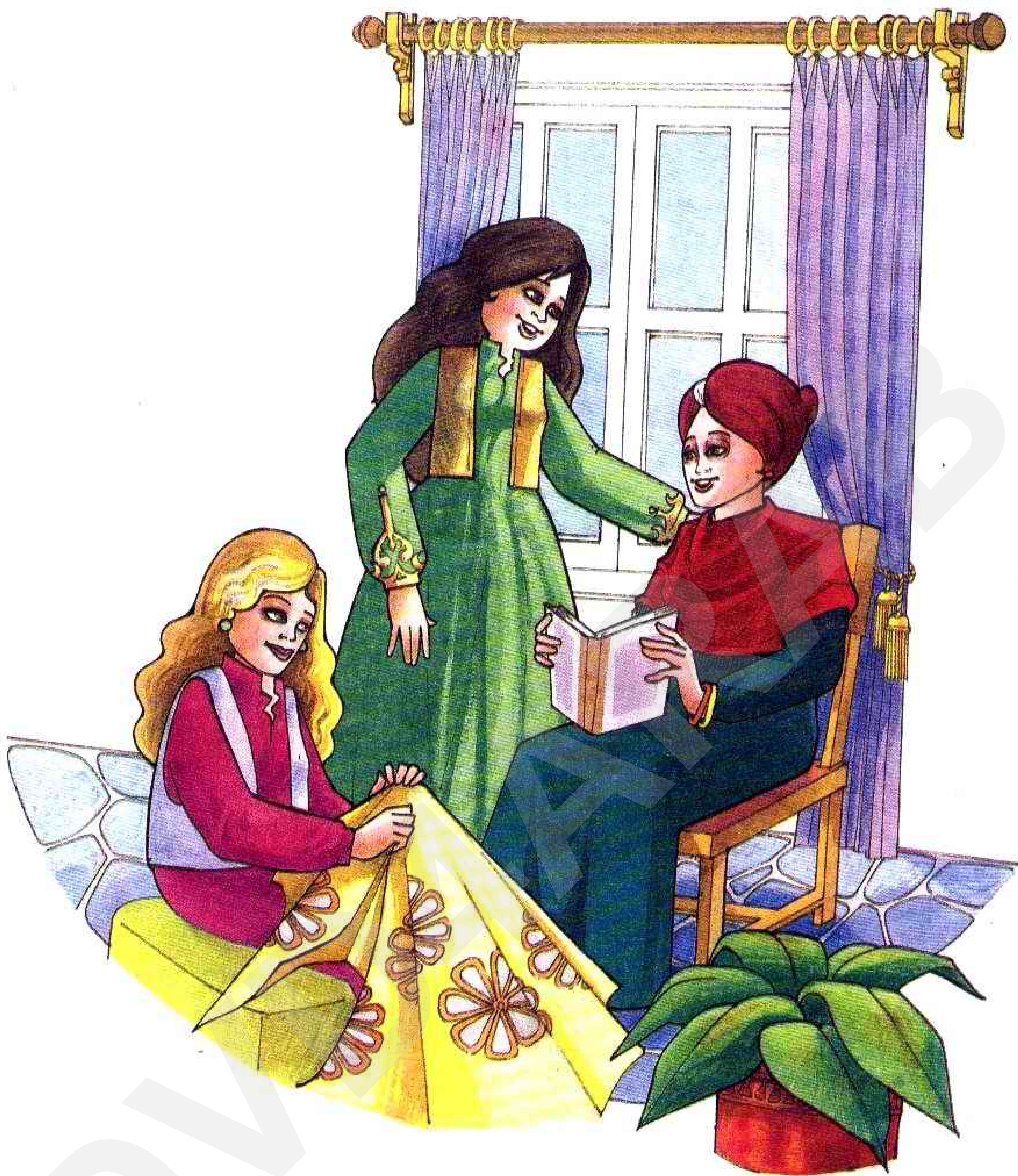
التَفَتَتْ زَهْرَةُ إِلى أُخْتِها، وقالَتْ فى لَهْجَةٍ غَرِيبَةٍ : «أَنْتِ طَيِّبَةُ القَلْبِ يا وَرْدَةُ. لَقَدْ كَانَ هَذَا الرَّجُلُ يَتَجَسَّسُ عَلَيْنا، وَإِلاَّ لما اخْتَفَى بِسُرْعَةٍ عِنْدَما الْتَفَتْنا إِلَيْهِ، وَنَحْنُ نَسْمَعُ فى الحِكاياتِ أَنَّ كَثِيرًا مِنَ الأَقْزامِ يَقُومُونَ بِأَعْمالٍ شِرِّيرَةٍ» . ضَحِكَتِ الأُمُّ وقالَتْ : «الحِكَايَاتُ فِيهَا خَيالٌ يُسَلِّينَا» . أَجابَتْ زَهْرَةُ : «أَتَمَنَّى أَنْ يَبْتَعِدَ هَذَا القَزَمُ عَنْ بَيْتِنا» .

وَلَمْ تَقُلْ وَرْدَةُ ولا الأُمُّ شَيْئًا، لَكِنَّ حَدِيثَ زَهْرَةَ أَثَارَ قَلَقَهُما .

***

وَفِى مَسَاءِ اليَوْمِ التَّالِى، جَلَسَتِ الأُمُّ قُرْبَ نارِ المِدْفَأَةِ مَعَ ابْنَتَيْها، تَقْرأُ لَهُمَا حِكَايَةً مُمْتِعَةً مِنْ كِتابٍ كَبِيرٍ، فِى حِينِ أَخَذَتْ زَهْرَةُ فِى تَطْرِيزِ ثَوْبٍ جَمِيلٍ .

وَفَجْأَةً، تَوَقَّفَتِ الأُمُّ عَنِ القِرَاءَةِ، وَرَفَعَتْ عَيْنَيْها عَنِ الكِتابِ، فَتَطَلَّعَتْ



زَهْرَةُ وَوَرْدَةُ إِلَى أُمِّهِمَا، لِتَعْرِفا سَبَبَ تَوَقُّفِها عَنِ القِراءَةِ.

قالَتِ الأُمُّ: «سَمِعْتُ اليَوْمَ خَبَرًا غَرِيبًا، فِى أَثْناءِ وُجُودِكُما فِى الغَابَةِ تَتَنَزَّهانِ».

فَقالَتْ وَرْدَةُ فِى قَلَقٍ: «ماذَا سَمِعْتِ يا أُمِّى؟».

قالَتِ الأُمُّ: «ذَهَبْتُ إِلَى القَرْيَةِ المُجاوِرَةِ، فَسَمِعْتُهُمْ يَقُولُونَ إِنَّ الأَمِيرَ الَّذِى يَحْكُمُ هَذِهِ البِلادَ، قَدِ اخْتَفَى فَجْأَةً مُنْذُ عِدَّةِ شُهُورٍ، وَقَدْ بَحَثَ عَنْهُ أَخُوهُ فِى كُلِّ مَكانٍ، فَلَمْ يَعْثُرْ لَهُ عَلَى أَثَرٍ!».

وَتَذَكَّرَتْ وَرْدَةُ أَحْلامَها، الَّتِى دارَتْ كَثِيرًا حَوْلَ ذَلِكَ الأَمِيرِ. كَانَ مَعْرُوفًا بِأَنَّهُ فَتًى شُجاعٌ حَكِيمٌ، فَصَاحَتْ: «لَقَدْ سَمِعْنا كَثِيرًا عَنْ شَجاعَةِ أَمِيرِنا وَعَدالَتِهِ، ماذَا حَدَثَ لَهُ يا تُرَى؟».

قَالَتِ الأُمُّ: «لا أَحَدَ يَدْرِى.. وَيقُولُونَ إِنَّهُ، قَبْلَ أَنْ يَخْتَفِىَ، كَانَ يَبْحَثُ عَنْ زَوْجَةٍ مُخْلِصَةٍ ذَكِيَّةٍ حَسَنَةِ الأَخْلاقِ، لِكنَّ هَذَا الاخْتِفاءَ الغَرِيبَ جعلَ الحُزْنَ يُخَيِّمُ عَلَى قَصْرِهِ الكَبِيرِ».

وسادَ الصَّمْتُ لَحْظَةً، ثُمَّ قالَتِ الأُمُّ: «يقُولُونَ إِنَّ وُحُوشَ الغابَةِ قَتَلَتْهُ».

صاحَتْ وَرْدَةُ: «مُسْتَحِيلٌ، إِنَّنِى أَخْرُجُ مَعَ زَهْرَةَ لِلنُّزْهَةِ فى الغابَةِ مُنْذُ طُفُولَتِنا، ولَمْ يَحْدُثْ أَنْ أَصابَنا مَكْرُوهٌ».

وقالَت زَهْرَةُ: «يُمْكِنُ أَنْ أَتَوَقَّعَ الشَّرَّ مِنْ بَعْضِ النَّاسِ، لَكِنَّنِى لا أَتَوَقَّعُهُ أَبَدًا مِنْ حَيَواناتِ الغابَةِ. لقد اعْتادَتْ كُلُّ الحَيَواناتِ أَنْ تَقْتَرِبَ مِنَّا، وأَنْ

تَأْكُلَ مِنْ أيْدِينا. لا.. لَيْسَ فى الغابَةِ أَىُّ خَطَرٍ».

وَتَطَلَّعَتِ الأمُّ مُفكِّرةً إلى ابْنَتَيْها. كانَتْ وَرْدَةُ تَثِقُ فى كُلِّ النَّاسِ، وَتُسَاعِدُ الآخَرِينَ بِغَيْرِ تَرَدُّدٍ. فِى حِينِ أنَّ زَهْرَةَ لا تَتَحَمَّسُ لانْدِفَاعِ أُخْتِها فِى مُساعَدَةِ كُلِّ منْ يَطْلُبُ المُساعَدَةَ، وكانَتْ كُلٌّ مِنْهُما تقُولُ لِلأُخْرَى: «سَتُثْبِتُ الحَوادِثُ أنَّنِى عَلَى حَقٍّ».

ولَمْ تَكُنْ إِحْداهُمَا تَتَصوَّرُ أنَّهُ، فِى خِلالِ الأَيَّامِ القَلِيلَةِ القادِمَةِ، سوْفَ يَحْدُثُ عَدَدٌ كبيرٌ مِنَ الحَوادِثِ الغَرِيبَةِ وَالعَجِيبَةِ.



فَفِى إِحْدَى لَيالِى الشِّتاءِ البارِدَةِ، كانَ الثَّلجُ يَتساقَطُ خارِجَ البَيْتِ فِى رَقائِقَ ناعِمَةٍ، وأَفْرادُ الأسْرَةِ يَجْلِسُونَ فِى سَعادَةٍ داخِلَ بَيْتِهِمُ الدَّافِئِ، عِنْدَما سَمِعُوا فَجْأَةً طَرَقاتٍ شَدِيدَةً على البابِ. قَالَتِ الأُمُّ: «افْتَحِى البَابَ بِسُرْعَةٍ يا وَرْدَةُ، لعَلَّهُ مُسافِرٌ غَرِيبٌ ضَلَّ طَرِيقَهُ، يَبْحَثُ عَنْ مَكانٍ يَسْتَرِيحُ فِيهِ».

أَسْرَعَتْ وَرْدَةُ، وَفتحت البابَ، وَتَطَلَّعَتْ إِلَى الخَارِجِ، لكِنْ لمْ يَكُنْ هُناكَ مُسَافِرٌ غَرِيبٌ، بَلْ دُبٌّ أَسْوَدُ اللَّوْنِ كَثِيفُ الشَّعْرِ، وَتراجَعَتْ وَرْدَةُ مَذْعُورَةً، فَتَقَدَّمَ الدُّبُّ، وَأَطَلَّ بِرَأْسِهِ مِنَ البَابِ.

ارْتاعَ الجَمِيعُ لِرُؤْيَةِ الدُّبِّ، فانْدَفَعَتْ وَرْدَةُ فِى فَزَعٍ نحْوَ أُمِّها، واخْتَبَأَتْ زَهْرَةُ خَلْفَ مَقْعَدٍ كَبِيرٍ، وَارْتفَعَ صَوْتُ ثُغاءِ الخَرُوفِ، فِى حِينِ طارَتِ الحَمامَةُ مُضْطَرِبَةً فِى أرْجاءِ الغُرْفَةِ.

وَوقَفَ الدُّبُّ فِى مَدْخَلِ البابِ، وقَالَ بِصَوْتٍ هَادِئٍ: «لا تَخَافُوا وَدَعُونِى أَدْخُلُ. أنَا دُبٌّ لا آكُلُ إِلَّا العَسَلَ. الجَوُّ فِى الخَارِجِ شَدِيدُ البُرُودَةِ، أُرِيدُ أنْ احْتَمِىَ مِنَ البَرْدِ».

قالَتِ الأُمُّ: «ادْخُلْ أيُّها الدُّبُّ اللَّطِيفُ، وَارْقُدْ بِجِوارِ نَارِ المَوْقِدِ. لَكِنْ خُذْ حَذَرَكَ حَتَّى لا تَحْتَرِقَ فَرْوَتُكَ الكَثِيفَةُ». ثُمَّ قالَتْ لابْنَتَيْها: «يَا وَرْدَةُ.. يا زَهْرَةُ. لا دَاعِىَ المَخْوفِ. هَذا دُبٌّ لَطِيفٌ، لَنْ يُؤْذِى أَحَدًا».

دَخَلَ الدُّبُّ، وتمَدَّدَ بِجِوارِ المِدْفَأَةِ، وَتَرَكَ حَرارَةَ النَّارِ تُجَفِّفُ شَعْرَهُ، وَقَدْ ظَهَرَتْ عَلَيْهِ عَلامَاتُ الرَّاحَةِ والاطْمِئْنانِ، واقْتَرَبَ الخَرُوفُ مِنَ الدُّبِّ، وَطَارَتِ الحَمامَةُ حَوْلَهُ فِى هُدُوءٍ، عِنْدَئِذٍ تَشَجَّعَتْ وَرْدَةُ فَتقَدَّمَتْ بِحَذَرٍ نَحْوَ



الدُّبِّ، فالْتفَتَ إِليْهَا وقالَ: «هلْ تَتفَضَّلِينَ بِتَمْشِيطِ فِرَائِى؟»

فَأسْرَعتْ وَرْدَةُ، وتَناوَلَتْ فُرْشَاةً، وَأخذَتْ فِى تَسْوِيَةِ فِرَاءِ الدُّبِّ، عِنْدَئِذٍ تَقَدَّمَتْ زَهْرَةُ وعَاونَتْ أخْتَها، بَعْدَ أنْ زَالَ الخَوْفُ والتَّردُّدُ مِنْ قَلْبَيْهِمَا.

وَأَحَسَّتْ وَرْدَةُ أَنَّ الدُّبَّ أصْبحَ صَدِيقًا لَهَا، فَصَاحَتْ: «هَيَّا نلْعَبُ أيُّها الدُّبُّ».





قَالَ الدُّبُّ : «أَنَا لَا أعْرِفُ أىَّ لُعْبَةٍ !»

فَالْتَفَتَتْ وَرْدَةُ إلى أُمِّها وقالَتْ ضَاحِكَةً : «تَصَوَّرِى يَا أُمِّى . . إنَّهُ لَا يَعْرِفُ كَيْفَ يَلْعَبُ !» فابْتَسَمَتِ الأمُّ وقالَتْ : «إنَّهُ يَتظاهَرُ بذَلِكَ فَقَطْ».

قَالَتْ وَرْدَةُ : «لِنَجْعَلِ الدُّبَّ حِصَانًا!» وَصَاحَتْ زَهْرَةُ ضَاحِكَةً : «ونرْكَبُ فَوْقَهُ».

صَاحَ الدُّبُّ فِي مَرَحٍ : «أَرْجُو أَلَّا يَقْتُلَنِي هَذَا الثِّقَلُ». وَاعْتَلَتِ الأُخْتَانِ ظَهْرَ الدُّبِّ، وصَاحَتْ وَرْدَةُ : «هيَّا يَا دُبُّ». فَأَخَذَ يَسِيرُ بِهِما فِي أَرْجَاءِ الغُرْفَةِ، وقَدِ ارْتَفَعَتْ ضَحِكاتُهما المَرِحَةُ الصَّافِيَةُ.

وَأَخذَتِ الفَتَاتَانِ تَلْعَبَانِ مَعَ الدُّبِّ وتَمْرَحَانِ، وَإِذا زَمْجَرَ مُداعِبًا، تَنْطَلِقَانِ فى ضَحِكٍ مُجَلْجِلٍ، وتَتَدَحْرَجَانِ مَعَهُ فَوْقَ البِساطِ.

وَحَانَ مَوْعِدُ النَّومِ، فَقَالَتِ الأمُّ للدُّبِّ : «أيُّها الدُّبُّ الطَّيِّبُ، يُمْكِنُكَ البَقاءُ هُنَا طُولَ اللَّيْلِ، لِكَىْ لا تَتعَرَّضَ لِلْبَرْدِ وَالمَطَرِ فِى الخَارِجِ».

وَفِى فَجْرِ اليَوْمِ التَّالِى، اسْتَيْقَظَ الدُّبُّ نَشِيطًا سَعِيدًا، فَفَتَحَتْ لَهُ زَهْرَةُ البَابَ، فِى حِينِ أَخَذَتْ وَرْدَةُ تُمَشِّطُ لَهُ شَعْرَ فَرْوَتِهِ. وعِنْدَما اسْتَعَدَّ لِلْخُرُوجِ، قالَتْ لَهُ الأُمُّ : «أهْلًا وَسَهْلًا بِكَ فِى أىِّ وَقْتٍ».

وَوَدَّعَ الدُّبُّ الوَدُودُ أفْرادَ الأسْرَةِ، ثُمَّ خَرَجَ، وَاخْتَفَى بَيْنَ أشْجَارِ الغَابَةِ، وَفِى مَسَاءِ نَفْسِ اليَوْمِ، عَادَ إِلَى بَيْتِ أصْدِقَائِهِ.

وَاعْتَادَ الدُّبُّ أنْ يَأْتِىَ إِلَى البَيْتِ الصَّغِيرِ مَسَاءَ كُلِّ يَوْمٍ، عِنْدَ حُلُولِ الظَّلَامِ. وَنَشَأَتْ بَيْنَ الدُّبِّ والبِنْتَيْنِ صَدَاقَةٌ قَوِيَّةٌ، فَكَانَ يَسْمَحُ لَهُمَا بِمُدَاعَبَتِهِ كَمَا يَحْلُو لَهُمَا وَهُوَ سَعِيدٌ رَاضٍ، وَلَمْ يَكُنْ بَابُ البَيْتِ يُغْلَقُ أَبَدًا فِى المَسَاءِ قَبْلَ أنْ يَصِلَ الدُّبُّ الأسْوَدُ.



وتَتَابَعتْ زِيارَاتُ الدُّبِّ اللَّيْلِيَّةُ، إلَى أنْ بَدَأ فَصْلُ الرَّبيعِ ، وأعَادَتْ أوْرَاقُ الأشْجَارِ الجَدِيدَةُ إلَى الغَابَةِ لَوْنَها الأخْضَرَ، عِنْدَئِذٍ قالَ الدُّبُّ بأسَفٍ : «يا أعِزَّائِى . . لَقَدْ حَانَ الآنَ وقْتُ رَحِيلِى ، يَجِبُ أنْ أتغيَّبَ فتْرَةً، وَلَنْ أعُودَ قبْلَ بِدَايَةِ فَصْلِ الشِّتاءِ».

سَألَتْ وَرْدَةُ فِى قَلَقٍ : «إلَى أيْنَ تتْرُكُنا أيُّها الدُّبُّ العَزِيزُ؟».

أجَابَ الدُّبُّ : «يَجِبُ أنْ أذْهَبَ إلَى مَكَانٍ بَعِيدٍ فِى الغَابَةِ، لِأحْرُسَ كُنُوزِى مِنْ رَجُلٍ شِرِّيرٍ، لَقَدْ سَبَقَ لِهَذَا الرَّجُلِ أنِ اسْتولَى عَلَى جُزْءٍ كَبِيرٍ مِنْ ثَرْوَتِى، وَيُرِيدُ سَرِقَةَ بَقِيَّتِها. إنَّ ثُلُوجَ الشِّتاءِ تَمْنَعُهُ مِنَ البَحْثِ عَنْ كُنُوزِى، أمَّا فِى الرَّبِيعِ وَالصَّيْفِ، فتَذُوبُ الثُّلُوجُ، لِذَلِكَ يَجِبُ أنْ أذْهَبَ لأحْرُسَ أمْوالِى، وأُبْعِدَهُ عَنْها». وكَمْ حَزِنَتْ وَرْدَةُ وَزَهْرَةُ لِرَحِيل صَدِيقِهِمَا العَزِيزِ.

وَعِنْدَمَا فَتَحتْ وَرْدَةُ البَابَ لِكَىْ يَخْرُجَ صَدِيقُهُنَّ الدّبُّ، اشْتَبَكَتْ خُصْلَةٌ مِنْ شَعْرِهِ فِى البَابِ، فَظَهَرَ جِلْدُ الدّبِّ فِى مَوْضِعِ الشَّعْرِ الْمَنزُوعِ لامِعًا بَرَّاقًا مِثْلَ الذَّهَبِ.

ووقَفَتِ الفَتاتَانِ عِنْدَ بَابِ البَيْتِ تُلَوِّحانِ مودِّعَتانِ لِصَدِيقِهِما، وَوَرْدَةُ تَقُولُ لِزَهْرَةَ فِى أسَفٍ : «كَيْفَ سَنَقْضِى مَسَاءَ كُلِّ يَوْمٍ ، بِغَيْرِ أنْ يَكُونَ صَدِيقُنا الدُّبُّ بيْنَنا؟!»

وَابْتَعَدَ الدُّبُّ، وسَرْعانَ مَا اخْتَفى بَيْنَ الأشْجَارِ.

* * *




بَعْدَ أيَّامٍ قَلِيلَةٍ، أَرْسَلَتِ الأمُّ ابْنَتَيْها إلَى الغَابَةِ، لِتَجْمعِ بَعْضَ الأَخْشَابِ اللاَّزِمَةِ لِلْمَوْقِدِ. وشَاهَدَتِ البِنْتَانِ فِي طَرِيقِهِمَا جِذْعَ شَجَرَةٍ ضَخْمًا، مُلْقًى عَلَى الأرضِ بَيْنَ النَّباتاتِ الطَّوِيلَةِ، وبِجِوارِهِ شَىْءٌ يظْهَرُ ويخْتَفِى مِنْ بيْنِ الحَشائِش.

قَالَتْ وَرْدَةُ فى دَهْشَةٍ : «مَا هَذَا الَّذِى يَقْفِزُ إلَى أعْلَى وَإلَى أسْفَلَ ؟».

وتأمَّلَتْ زَهْرَةُ المنظَرَ، ثُمَّ قالَتْ: «لَعَلَّهُ حيوانٌ مَرْبُوطٌ إلَى جِذْعِ الشَّجَرَةِ، يُحَاوِلُ التَّخَلُّصَ مِنْ قَيْدِهِ».

اقْتَرَبَتِ البِنْتانِ، فَصَاحَتْ زَهْرَةُ: «إِنَّهُ القَزَمُ العَجُوزُ الَّذِى شَاهَدْناهُ مِنْ نَافِذَةِ بَيْتِنا.. إنَّ لِحْيَتَهُ طَوِيلَةٌ جِدًّا».

وَشَاهَدَتِ البِنْتانِ الرَّجُلَ بِوُضُوحٍ، كَانَ قَصِيرًا، ضَئِيلَ الحَجْمِ، لَهُ وَجْهٌ مُسِنٌّ أصْفَرُ، وَلِحْيَةٌ بيْضَاءُ، يَبْلُغُ طُولُها مِنْ ذَقْنِهِ حَتَّى قَدَمَيْهِ.

صَاحَتْ وَرْدَةُ: «لَقَدِ انْحَشَرَ طَرَفُ لِحْيَتِهِ الطَّوِيلَةِ دَاخِلَ شَقٍّ فِى جِذْعِ الشَّجَرَةِ».

وكَانَ القَزَمُ يَنُطُّ فَوْقَ الجِذْعِ مَرَّةً، وبِجِوَارِ الجِذْعِ مَرَّةً أُخرَى، وَيَشُدُّ لِحْيَتَهُ بِعُنْفٍ لإخْرَاجِ طَرَفِها مِنَ الشَّقِّ الَّذِى انْحشَرَتْ فِيهِ، فَلا يَسْتَطِيعُ.

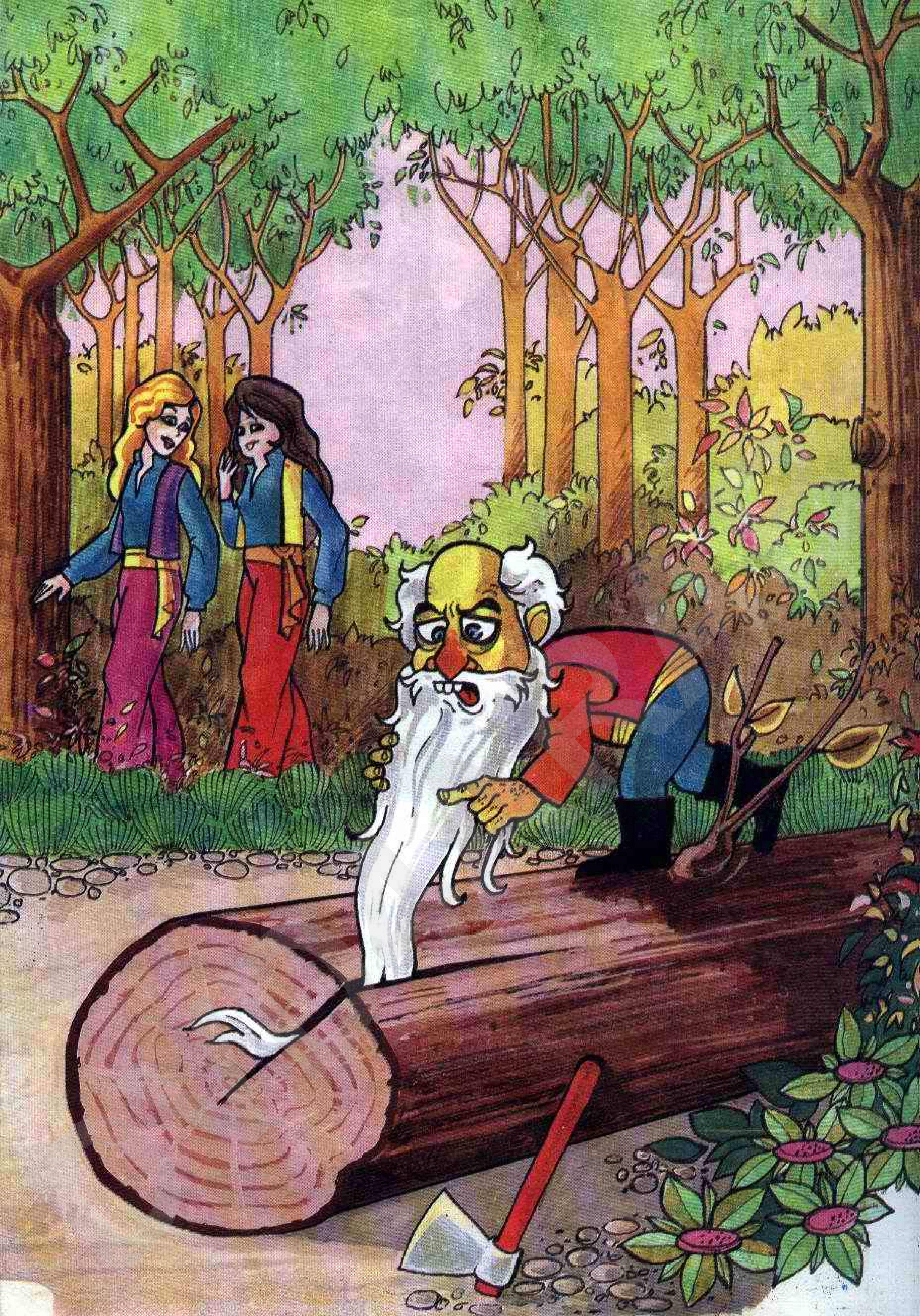
قَالَتْ وَرْدَةُ: «المِسْكِينُ لاَ يَسْتَطِيعُ إنْقاذَ نفْسِهِ».

صَاحَ القَزَمُ فِى ضِيقٍ: «لِمَاذا تَقِفانِ هَكَذَا كَالتَّماثِيلِ تُحَمْلِقانِ فِىَّ؟! اقْتَرِبا لِمُسَاعَدَتِى».

سألَتْ زَهْرَةُ: «ماذَا حَدَثَ لَكَ أَيُّها الرَّجُلُ القَصِيرُ؟»

صاحَ القَزَمُ فِى غَضَبٍ: «كُنْتُ أَشُقُّ هَذَا الْجِذْعَ الضَّخْمَ بِفَأْسِى، فدَخَلَتْ لِحْيَتِى فِى الشَّقِّ، وأمْسَكَ الجِذْعُ بِها فى قُوَّةٍ. هَيَّا.. تَوَقَّفِى عَنْ هَذِهِ الأسْئِلَةِ الَّتِى لا تُفِيدُ، وسَاعِدِينِى».

وَتَضَايقَتْ زَهْرَةُ مِنْ شَرَاسَةِ الرَّجُلِ وفَظَاظَتِهِ، لكِنَّ وَرْدَةَ تَقَدَّمَتْ مِنْهُ،





وفَحَصَتْ جِذْعَ الشَّجَرَةِ عَنْ قُرْبٍ . وَأَثارَ دَهْشَتَها ضَخامَةُ الجِذْعِ ، فَلَمْ تَكُنْ تَتصَوَّرُ أنَّ لَدَى القَزَمِ الضَّئيلِ تِلْكَ القُوَّةَ الهائِلَةَ الَّتِى مَكَّنَتْهُ مِنْ شَقِّ الجِذْعِ . وَبِرَغْمِ دَهْشَتِها، الْتَفَتَتْ إلى أُخْتِها وَقالَتْ : « هيَّا نُحاوِلُ جَذْبَهُ مِنْ مَلَابِسِهِ يا زَهْرَةُ . » وَبِرَغْمِ ضِيقِ زَهْرَةَ مِنَ الرَّجُلِ ، فَقَدْ أَمْسَكَتْ مَعَ وَرْدَة بِمِعْطَفِ القَزَمِ ، وأَخَذَتا فِى جَذْبِهِ.

وَتَأَوَّهَ الرَّجُلُ القَصِيرُ، وأَخَذَ يَصِيحُ : « آه يا لِحْيَتِى . . إنَّها لَنْ تَخْرُجَ . .

لَنْ تَخْرُجَ مِنَ الشَّقِّ ». عِنْدَئِذٍ قَالَتْ وَرْدَةُ : « سَأَعُودُ جَرْيًا إِلَى المَنْزِلِ ، وَأَسْتَدْعِي مَنْ يُساعِدُكَ ». لَكِنَّ القَزَمَ صَاحَ سَاخِطًا : « أَيَّتُها الغَبِيَّةُ . . أَلاَ يَخْطُرُ عَلَى بالِكِ شَيْءٌ أَفْضَلُ مِنْ تَرْكِي وَالعَوْدَة إِلَى الْمَنْزِلِ ؟! » قالَتْ زَهْرَةُ : « إِنَّ مَعِي أَدَواتُ التَّطْرِيزِ ». صَاحَ القَزَمُ : « مَاذَا سَتَصْنَعِينَ فِي لِحْيَتِي بأدَواتِ التَّطْرِيزِ؟ قَالَتْ زَهْرَةُ : « كُنْ صَبُورًا ».

وَمِنْ بَيْنِ أَدَوَاتِها، أَخْرَجَتْ زَهْرَةُ مِقَصًّا، وأَسْرَعَتْ وَقَصَّتْ بِهِ لِحْيَةَ القَزَمِ ، فَخَلَّصَتْها مِنَ الشَّقِّ الَّذِي دَخَلَتْ فِيهِ. وَصَاحَتْ وَرْدَةُ فِي حَمَاسٍ : «هَا قَدْ أَصْبَحْتَ حُرًّا ».

لَكِنَّ القَزَمَ صَاحَ بِهَا فِي غَضَبٍ شَدِيدٍ، وَهُوَ يَتَأَمَّلُ لِحْيَتَهُ الَّتِي أَصْبَحَتْ تَصِلُ إِلَى مُنْتَصَفِ سَاقَيْهِ : « آه يا لِحْيَتِي . . يا لِحْيَتِي الجَمِيلة . . يا لَحَظِّي السَّيِّئِ الَّذِي أَوْقَعَنِي بَيْنَ أَيْدِيكُمَا . . كَيْفَ أَقْدَمْتُما عَلَى قَصِّ جُزْءٍ مِنْ لِحْيَتِي الَّتِي أَعْتَزُّ بِها أَكْثَرَ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ فِي الدُّنْيا؟! . . لَقَدْ كَانَ طُولُها مِثْلَ طُولِي ، وَقَدْ ضَاعَ الآنَ رُبْعُها ! ».

انْتَابَتِ الفَتَاتانِ دَهْشَةٌ بالِغَةٌ، وانْقَلَبَتْ سَعَادَتُهُما بِإِنْقَاذِ الرَّجُلِ ، إِلَى شُعُورٍ بالأَسَفِ، بِسَبَبِ هٰذِهِ الكَلِماتِ القَاسِيَةِ الَّتِي قَابَلَ بِهَا مَجْهُودَاتِهِمَا لإِنْقاذِهِ. وهَمَسَتْ زَهْرَةُ لِوَرْدَةَ : «هٰذِهِ هِيَ نَتِيجَةُ صُنْعِ الخَيْرِ فِيمَنْ لا يَسْتَحِقُّهُ ! » ثُمَّ وَقَفَتْ مَعَ أُخْتِها تَرْقُبانِ الرَّجُلَ فِي صَمْتٍ وَضِيقٍ ، فإِذا بِهِ يَبْحَثُ بَيْنَ جُذُوعِ الأَشْجَارِ، إِلَى أَنْ عَثَرَ عَلَى كِيسٍ كَبِيرٍ مِنَ الجِلْدِ، كَانَ قَدْ أَخْفَاهُ هُنَاكَ، ومِنْ فُتْحَةِ الكِيسِ ، ظَهَرَتْ مِئاتٌ مِنْ قِطَعِ الذَّهَبِ

الصَّفْراءِ اللاَّمِعَةِ، وَأسْرَعَ الرَّجُلُ يُخْفِى الذَّهَبَ، ويُغْلِقُ الكِيس.

ثُمَّ تأهَّبَ الرَّجُلُ لِيَحْمِلَ الْكِيسَ فوْقَ ظَهْرِهِ، وكَانَ واضحًا أنَّهُ اعْتادَ القِيامَ بمِثْلِ هَذَا العَمَلِ فِى سُهُولَةٍ ويُسْرٍ، لَكنَّهُ عِنْدَمَا حاولَ هَذِهِ المَرَّةَ حَمْلَ الكِيسِ كَمَا اعْتادَ، أفلتَ مِنْ بيْنِ يَدَيْهِ، وَسَقَطَ عَلَى الأرْضِ. ونظَرَ القَزَمُ إلى الكِيسِ فِى دَهْشَةٍ وغَضَبٍ، ثُمَّ عادَ فَانْحَنَى عَلَى الأرْضِ وَأمْسَكَ بِالكِيسِ، وبذَلَ جُهْدًا كَبِيرًا حَتَّى وَضَعَهُ فَوْقَ ظَهْرِهِ، فَانْحَنَى تَحْتَ ثِقَلِهِ انْحِناءً شَدِيدًا.

وَأَدَارَ القَزَمُ ظَهْرَهُ لِلفَتاتَيْنِ، وَابْتَعَدَ فى بُطْءٍ بِسَبَبِ ثِقَلِ حَمْلِهِ، مِنْ غيْرِ أنْ يَنْطِقَ بِكَلِمَةٍ.

قَالَتْ زَهْرَةُ فِى غَضَبٍ: «لَقَدِ انصَرَفَ دُونَ أنْ يَقُولَ كَلِمَةَ شُكْرٍ وَاحِدَةٍ».

أَجَابَتْ وَرْدَةُ فِى هُدُوءٍ: «لَقَدْ فَعَلْنَا مَا يَجِبُ عَلَيْنا أنْ نَقُومَ بِهِ، ونَحْنُ لا نَنْتَظِرُ شُكْرًا عَلَى مُساعَدَةِ الآخَرِينَ».

ويَبْدُو أنَّ القَزَمَ سَمِعَهُما، فَتوقَّفَ، وَالْتَفتَ إلَيْهِمَا، وعَادَ يَصِيحُ: «اذْهَبا فَوْرًا مِنْ هُنَا. مُنْذُ قَلِيلٍ أثَرْتُما غَضَبِى بِقَطْعِ لِحْيَتِى الَّتِى أحْرِصُ عَلَى أنْ تَظَلَّ طَوِيلَةً جَمِيلَةً، وَالآنَ تُثِيرانِ غَيْظِى بِانْتِقادِ سُلُوكِى!».

وَبِهَذِهِ الكَلِماتِ البَعِيدَةِ تَمامًا عَنْ أىِّ شُكْرٍ، ابْتَعَدَ وهُوَ يُمْسِكُ الكِيسَ جَيِّدًا فوْقَ ظَهْرِهِ المُنْحَنِى، ويُرَدِّدُ فِى غَضَبٍ: «آه يا لِحْيَتِى الجَمِيلَة.. آه يا لِحْيَتِى البَيْضَاء الطَّوِيلَة».



وَعنْدَما رَجَعَتْ وَرْدَةُ وَزَهْرةُ إلَى البَيْتِ، أخْبَرتَا أُمَّهُمَا بِمَا حَدَثَ، فَتَطلَّعَتْ إلَيْهِمَا الأمُّ مُبْتَسِمَةٍ، وَقَالَتْ: «أَشْكُرُ اللَّهَ أَنْ أعْطانِى بِنْتَيْنِ

لا تَتَرَدَّدَانِ فى صُنْعِ الخَيْرِ وَمُسَاعَدَةِ الآخَرِينَ ، وَلَا يَهُمُّ بَعْدَ ذَلِكَ أَنْ يُقَابِلَ ذَلِكَ الرَّجُلُ مُساعَدَتَكُما لَهُ بِالشُّكْرِ وعِرْفانِ الجَمِيلِ أَوْ بِالجُحُودِ ونُكْرانِ الجَمِيلِ .



وبَعْدَ أيَّامٍ ، أَرْسَلَتِ الأمُّ وَرْدَةَ وَزَهْرَةَ لاصْطِيادِ بَعْضِ السَّمَكِ مِنْ نَهْرٍ صَغِيرٍ بالْغَابَةِ.

وَفِى أثْناءِ اقْتِرابِ الأخْتَيْنِ مِنْ شَاطِئِ النَّهْرِ، شَاهَدَتَا شَيْئًا كَأَنَّهُ جَرادَةٌ ضَخْمَةٌ تَتواثَبُ عَلَى الشَّاطِئِ، وتَهُمُّ بِالْقَفْزِ إِلَى الماءِ.

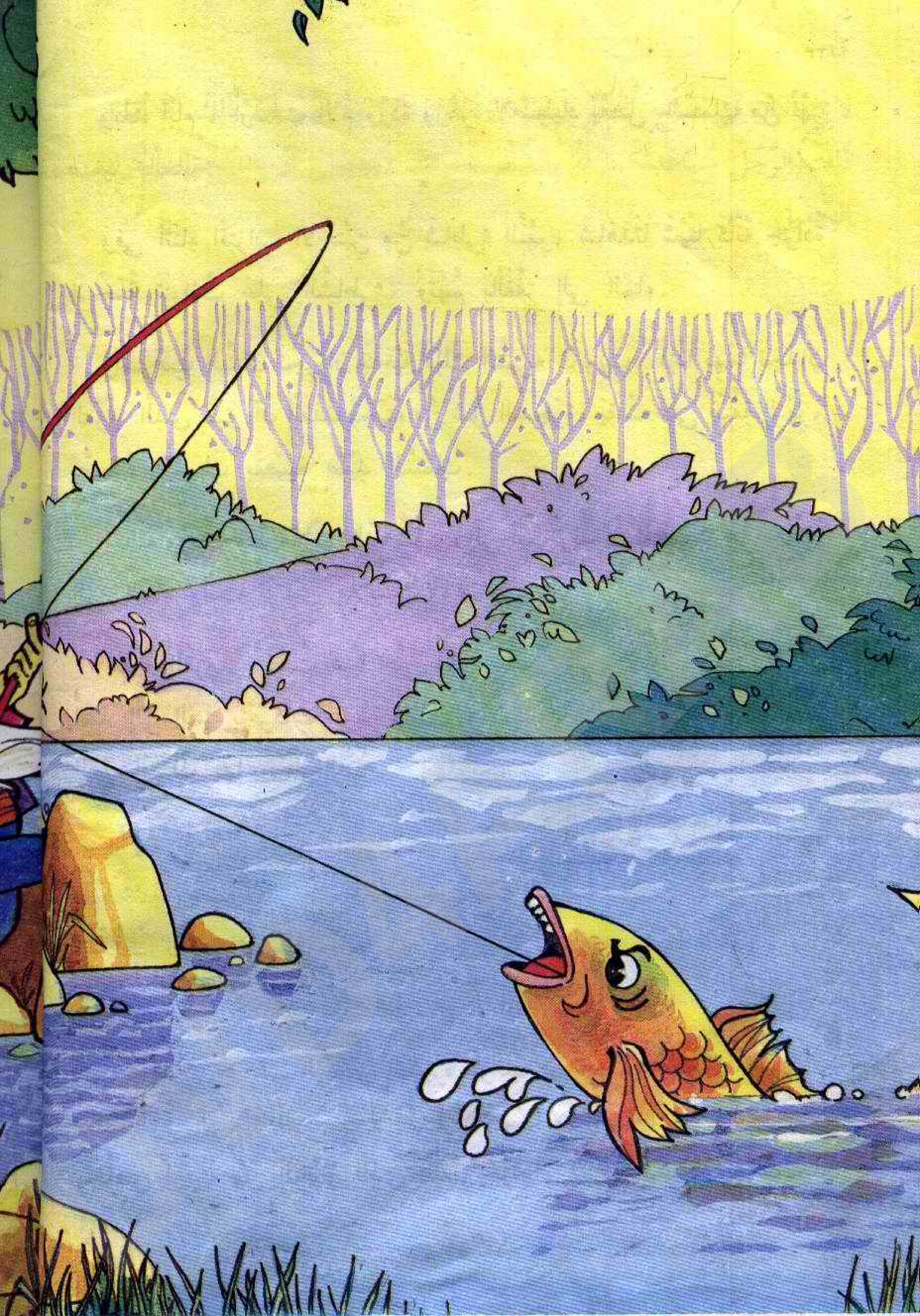
وَأَسْرَعَتِ البِنْتانِ تَجْرِيانِ نَاحِيَةَ ذلِكَ الشَّىْءِ الغَرِيبِ، فَإِذَا بِهِمَا تَجِدَانِ القَزَمِ الَّذِى سَبَقَ أنْ أنْقَذَتَا لِحْيَتَهُ مِنْ شَقِّ الشَّجَرَةِ، يَقِفُ عَلَى ضَفَّةِ النَّهْرِ، يَصْطادُ السَّمَكَ بِقَصَبَةِ صَيْدِ السَّمَكِ.

سَأَلَتْهُ وَرْدَةُ، وقدْ مَلأتْها الدَّهْشَةُ : «إِلَى أيْنَ تُرِيدُ أنْ تذْهَبَ؟ هَلْ سَتَقْفِزُ إِلَى المَاءِ وَأنْتَ تَرْتَدِى مَلابِسَكَ؟!».

صَاحَ القَزَمُ : «لسْتُ غَبِيًّا حَتَّى أُلْقِىَ بِنَفْسِى إِلَى المَاءِ بِمَلابِسِى». ثُمَّ أَشارَ إِلَى المَاءِ بِحَرَكاتٍ غَرِيبَةٍ وقَالَ : «ألا تُشاهِدانِ هٰذِهِ السَّمَكَةَ الضَّخْمَةَ الَّتِى أمْسَكَ بِهَا خَيْطُ الصَّيْدِ؟ إنَّها تُحاوِلُ سَحْبِى إلى النَّهْرِ!».

وأخَذَ الرَّجُلُ يَجْذِبُ الخيطَ إلى الشَّاطِئِ. وعلَى غَفْلَةٍ منْهُ، الْتفَّ الخَيْطُ حَوْلَ شَعْرِ لِحْيَتِهِ الطَّوِيلِ . وفجْأةً، انْتَفَضَتِ السَّمَكَةُ، وكانَتْ ضَخْمَةً قَوِيَّةً، وأَخَذَتْ تجْذِبُهُ إِلَى المَاءِ مِنْ لِحْيَتِهِ الَّتِى اشْتَبَكَتْ مَعَ خَيْطِ الصَّيْدِ؛ فعادَ القَزَمُ يَصْرُخُ وَيُوَلْوِلُ : «آه.. إنَّنِى أنْزَلِقُ.. سَأَغْرَقُ».

وشَاهَدَتِ الأخْتانِ السَّمَكَةَ الكَبِيرَةَ تَتَواثَبُ فِى المَاءِ عِنْدَ طَرَفِ الخَيْطِ، والمَخْلُوقُ الصَّغِيرُ الحَجْمِ لا يَسْتَطِيعُ جذْبَها مِنَ الماءِ، ولا يَسْتَطِيعُ أنْ يُخَلِّصَ لِحْيَتَهُ مِنَ الخَيْطِ الَّذِى الْتَفَّ حَوْلَها، لِيَتْرُكَ السَّمَكَةَ تَهْرُبُ، أوْ





تَغُوصُ حُرَّةً فى المَاءِ. وكُلَّما ابْتَعَدَتِ السَّمكَةُ عَنِ الشَّاطِئِ، سَحَبَتِ القَزَمَ مَعَها، فَيَزْدادُ اقْتِرابًا مِنَ المَاءِ.

أَسْرعَتْ وَرْدَةُ فأمسَكَتْ بِذِراعِ الرَّجُلِ، وأَخَذَتْ تَشُدُّهُ بِكُلِّ قُوَّتِها لإبْعادِهِ عَنْ حَافَّةِ المَاءِ، فِى حِينِ اسْتَخْدَمَتْ زَهْرَةُ أَصَابِعَها بِمَهَارَةٍ تُحاوِلُ فَكَّ خَيْطِ الصَّيْدِ مِنْ لِحْيَتِهِ، بِرَغْمِ ضِيقِها الشَّدِيدِ مِنْ سُلُوكِ القَزَمِ غَيْرِ المُهَذَّبِ. لَكِنَّ اللِّحْيَةَ والخَيْطَ كَانَا مُتشابِكَيْنِ تَمامًا.

وَتَوقَّفَتْ زَهْرَةُ عَنْ مُحاوَلَتِها لِتَخْلِيصِ شَعْرِ اللِّحْيَةِ مِنَ الخَيْطِ، وَصَاحَتْ بِأُخْتِها: «أمْسِكِى ذِراعَهُ جَيِّدًا يَا وَرْدَةُ. سَاعِدِيهِ لِيَبْقَى بَعِيدًا عَنْ حَافَّةِ المَاءِ».





وَصَاحَتْ وَرْدَةُ، وَهِيَ تَبْذُلُ كُلَّ جُهْدِهَا فِي جَذْبِ الرَّجُلِ بَعِيدًا عَنِ الْمَاءِ: «مَاذَا سَتَفْعَلِينَ يَا زَهْرَةُ؟».

وَلَمْ تُجِبْ زَهْرَةُ، بَلْ أَسْرَعَتْ تُخْرِجُ مِقَصًّا، وَقَصَّتْ جُزْءَ اللِّحْيَةِ الَّذِى اشْتَبَكَ مَعَ خَيْطِ الصَّيْدِ، وَعِنْدَمَا تَخَلَّصَ الْقَزَمُ مِنْ خَيْطِ الصَّيْدِ، وَقَعَ هُوَ وَوَرْدَةُ عَلَى حَشَائِشِ الشَّاطِئِ، فِى حِينِ غَاصَتِ السَّمَكَةُ مَعَ الْخَيْطِ فِى أَعْمَاقِ النَّهْرِ.

وَقَامَ القَزَمُ مِنْ سَقْطَتِهِ، فَصَاحَتْ وَرْدَةُ فِى سَعَادَةٍ وَهِى تُصَفِّقُ فِى مَرَحٍ : «لَقَدْ أَنْقَذْنَاهُ.. لَقَدْ أَنْقَذْنَاهُ»..

أَسْرَعَ القَزَمُ يَتَحَسَّسُ لِحْيَتَهُ بِيَدِهِ، ثُمَّ صَوَّبَ بَصَرَهُ إِلَى الْمِقَصِّ الَّذِى كَانَ لَا يَزَالُ فِى يَدِ زَهْرَةَ. وَمَعَ أَنَّهُ عَرَفَ جَيِّدًا أَنَّ مَا فَعَلَتْهُ بِلِحْيَتِهِ كَانَ لإِنْقَاذِ حَيَاتِهِ، فَقَدِ انْتَابَهُ غَضَبٌ شَدِيدٌ، وَصَاحَ فِى زَهْرَةَ : «هَلْ يَدْخُلُ ضِمْنَ الأَخْلَاقِ الحَمِيدَةِ، أَنْ تُشَوِّهِى وَجْهَ إِنْسَانٍ عَلَى هَذَا النَّحْوِ؟ لَقَدْ قَصَصْتِ لِحْيَتِى العَزِيزَةَ لِلْمَرَّةِ الثَّانِيَةِ. كَانَ طُولُهَا مِثْلَ طُولِى، وَقَدْ ضَاعَ مِنْهَا الآنَ نِصْفُهَا.. إِنَّ لِحْيَتِى هِىَ...» وَعِنْدَ هَذِهِ العِبَارَةِ، سَكَتَ القَزَمُ فَجْأَةً عَنِ الْكَلَامِ، كَأَنَّهُ كَانَ سَيَبُوحُ بِسِرٍّ خَطِيرٍ، وَعَادَ يَصِيحُ فِى حُزْنٍ وَغَضَبٍ : «كَيْفَ أَسْتَطِيعُ أَنْ أَظْهَرَ أَمَامَ أَهْلِى وَأَصْدِقَائِى بِهَذَا الشَّكْلِ الْمُضْحِكِ؟!».

وَتَبَادَلَتِ الأُخْتَانِ نَظَرَاتِ الدَّهْشَةِ لِهَذَا التَّصَرُّفِ الغَرِيبِ مِنَ القَزَمِ



الشَّرِسِ ، لا تُصَدِّقانِ أَنَّهُما تَسْمَعانِ تِلْكَ العِباراتِ الخَشِنَةَ القَاسِيَةَ مِنَ الرَّجُلِ الَّذِى أَنْقَذَتا حَيَاتَهُ مِنَ الْغرَقِ، فِى حِين أَسْرعَ القَزَمُ يُزِيحُ النَّباتاتِ الَّتِى عَلَى الشَّاطِئِ، ويُخْرِجُ مِنْ بَيْنِها كِيسًا كَبِيرًا.

لَكِنَّ الكِيسَ انْفَتَحَ فَجْأَةً، وَتَدَفَّقَتْ مِنْهُ حَبَّاتٌ مِنَ اللُّؤْلُؤِ الثَّمِينِ الغَالِى. وانْدَفَعَ الرَّجُلُ القَصِيرُ يَجْمَعُ اللُّؤْلُؤَ مِنْ عَلَى الأَرْضِ فِى سُرْعَةٍ، ويُعِيدُهُ إِلَى الكِيسِ ، مُحَاوِلاً أَنْ يُخْفِيَهِ عَنْ عُيُونِ البِنْتَيْنِ.

ثُمَّ أَخَذَ يُحاوِلُ رَفْعَ الكِيسِ لِيَضَعَهُ فَوْقَ ظَهْرِهِ. ولاَحَظَتْ وَرْدَةُ أَنَّهُ لا يَسْتَطِيعُ رَفْعَهُ بِالسُّهُولَةِ الَّتِى سَبَقَ أَنْ حَمَلَ بِهَا كِيسَ الذَّهَبِ، كَأَنَّما ضَعُفَتْ قُوَّتُهُ هٰذِهِ المَرَّةَ، لِذلكَ فإِنَّهُ أَخَذَ يَجْذِبُهُ عَلَى الأَرْضِ خَلْفَهُ، إِلَى أن اخْتَفَى وَرَاءَ صَخْرَةٍ عَالِيَةٍ.

وَعِنْدَ عَودَةِ الأُخْتَيْنِ إِلَى المَنْزِلِ ، عَرَفَتْ أُمُّهُمَا مَا حَدَثَ ، وأَحَسَّتْ أَنَّهُما تَتَأَلَّمَانِ بِسَبَبِ جُحُودِ ذَلِكَ الرَّجُلِ القَصِيرِ، فَطَوَّقَتْهُما بِذِرَاعَيْهَا، وقَبَّلَتْهُما



فى حُبٍّ وَحنانٍ وَهِىَ تقُولُ : «لَقَدْ أنقذْتُمَا حَياتَهُ. وأَنَا واثِقَةٌ أَنَّكُمَا لَنْ تَتَرَدَّدَا فِى إِنْقاذِ حَياتِهِ مَرَّةً وَمرَّاتٍ أُخْرَى، مَهْمَا فعَلَ أوْ قالَ».

وَقَدْ وَافقَتْهَا وَرْدَةُ على مَا قَالَتْ، أَمَّا زَهْرَةُ، فَقَدْ قَطَّبَتْ جَبِينَهَا فِى ضِيقٍ!!

***

فى اليَوْمِ التَّالِى، أَرْسَلَتِ الأُمُّ ابنَتَيْهَا إِلَى الْقَرْيَةِ المُجَاوِرَةِ لِشِرَاءِ إِبَرٍ وَخَيْطٍ، وَخِلالَ الطَّرِيقِ، لاَحظَتِ الأخْتَانِ أنَّ هُنَاكَ نَسْرًا كَبِيرًا يُحَلِّقُ فى الهَوَاءِ، وَيَدُورُ بِبُطْءٍ فَوقَهمَا. كَانَ الطَّائِرُ الهَائِلُ يَهْبِطُ إِلَى أَسْفَلَ، ثُمَّ يَعُودُ إِلَى الارْتِفَاعِ. وَتَأَمَّلَتْ وَرْدَةُ الطَّائِرَ فى دَهْشَةٍ، ثُمَّ قَالَتْ : «إِنِّى أَعْجَبُ.. لِمَاذا يَطِيرُ هَذَا النَّسْرُ الضَّخْمُ، بِهذَا الشَّكْلِ الدَّائِرِىِّ؟» أَجابَتْ زَهْرَةُ وَهِىَ تَتَطَلَّعُ إِلَى حَرَكَاتِ الطَّائِرِ : «لابُدَّ أَنَّهُ يُطارِدُ شَيْئًا مَّا» وَفَجْأَةً انْقَضَّ النَّسْرُ عَلَى مَكانٍ بِجِوارِ صَخْرَةٍ لا تَبْعُدُ عَنْهُمَا كَثِيرًا، وَفِى الحَالِ سَمِعَتِ البِنْتَانِ صَرْخَةَ اسْتِغَاثَةٍ حَادَّةٍ.

انْدَفعَتِ الأخْتَانِ نَحْوَ مَصْدَرِ الصَّوْتِ، فَشَاهَدَتا، وهُمَا فى غَايَةِ الفَزَعِ، ذَلِكَ الطَّائِرَ الهَائِلَ، وقَدِ انْقَضَّ عَلَى القَزَمِ نَفْسِهِ. كَانَ القَزَمُ يُحَاوِلُ أَنْ يَحْتَمِى بِصَخْرَةٍ كَبِيرَةٍ، لكنَّهُ لَمْ ينْجَحْ فِى إخْفاءِ لِحْيَتِهِ. وأَنْشَبَ الطَّائِرُ مَخالِبَهُ فِى شَعْرِ اللِّحْيَةِ، وأَخَذَ يَجْذِبُ القَزَمَ مِنْهَا، لِيُخْرِجَهُ مِنْ تَحْتِ الصَّخْرَةِ الَّتِى احْتَمَى بِهَا، والقَزَمُ يَصْرُخُ ويسْتَغِيثُ.

وَأَخِيرًا نَجَحَ الطَّائِرُ فى جَذْبِ الرَّجُلِ بَعِيدًا عَنِ الصَّخْرَةِ، وَكَادَ يُوشِكُ أنْ يحْمِلَهُ ويَطِيرَ بِهِ عَالِيًا، إلاَّ أنَّ الأخْتَيْنِ رَقِيقَتَى القَلْبِ أَسْرَعَتا، وتعَلَّقَتا بِالرُّجُلِ القَصِيرِ، وأَخذَتا تَجْذِبَانِهِ إِلَى الأَرْضِ وَالطَّائِرُ يُحاوِلُ الارْتِفَاعَ

بِالقَزَمِ، فَيَمْنَعُهُ مِنْ ذَلِكَ ثِقَلُ البِنْتَيْنِ.

وفجأةً تذَكَّرَتْ زَهْرَةُ المِقصَّ، فأَخْرَجَتْهُ مِنْ جَيْبِها، وقصَّتْ بِهِ جُزْءَ اللِّحْيَةِ الَّذِى تشَبَّثَتْ بِهِ مَخالِبُ النَّسْرِ، فَسَقَطَ القَزَمُ مَعَ البِنْتَيْنِ عَلَى الأَرْضِ، وطَارَ النَّسْرُ مُبْتَعِدًا، لَكِنَّ لِحْيَةَ القَزَمِ لَمْ يَكُنْ قَدْ تبقَّى مِنْهَا أَكْثَرَ مِنْ رُبْعِ طُولِها، وأَصْبَحَ طُولُها لا يكادُ يَصِلُ إِلَى مُنْتَصَفِ صَدْرِهِ.

ومَا إِنْ أَفاقَ القَزَمُ مِنَ الرُّعْبِ الَّذِى كَانَ قدْ تَملَّكَهُ، حَتَّى وقفَ، وأَخَذَ يتحَسَّسُ مَا بَقِىَ مِنْ لِحْيَتِهِ، غَيْرَ مُهْتَمٍّ بِمَلابِسِهِ المُمَزَّقَةِ الَّتِى فَقَدَتْ كُلَّ نِظامِها، وَامْتَلأَ غَضَبًا، وَصَاحَ فِى الأُخْتَيْنِ: «لَقَدْ قَصَصْتُما لِحْيَتِى للْمرَّةِ الثَّالِثَةِ.. أَنْتُمَا تَقْصِدانِ قَصَّ كُلِّ لِحْيَتِى! كانَ طُولُها مِثْلَ طُولِى وَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا الآنَ إِلَّا رُبْعُها. أَنْتُمَا مُؤْذِيَتَانِ شرِّيرَتانِ».

قالَتْ زَهْرَةُ لِوَرْدَةَ: «كُنْتُ أَظُنُّهُ سيَغْضَبُ هَذِه المَرَّةَ لأَجْلِ مَلابِسِهِ، الَّتِى تَحَوَّلَتْ إِلَى خِرَقٍ بَالِيَةٍ لا نَفْعَ فِيهَا، لكِنَّهُ لا يَغْضَبُ إِلَّا بِسَبَبِ لِحْيَتِهِ!» قَالَتْ وَرْدَةُ: «لابُدَّ أَنَّ هُنَاكَ سِرًّا لا نَعْرِفُهُ، يَتَعَلَّقُ بِلِحْيتِهِ هَذِهِ!».

وَترَكَ القَزَمُ الفَتاتَيْنِ، وَجَرَى نَاحِيَةَ حَقِيبَةٍ مَفْتُوحَةٍ، كَانَ يُخْرِجُ ما بِهَا مَنْ مَاسٍ وأَحْجَارٍ ثَمِينَةٍ، عِنْدَما فَاجَأَهُ النَّسْرُ.

كَانَتْ أَشِعَّةُ شَمْسِ الغُرُوبِ الذَّهَبِيَّةِ تَسْقُطُ عَلَى قِطَعِ المَاسِ والأَحْجَارِ الكَرِيمَةِ، فَتَتَلأْلأُ وتَلْمَعُ بِأَضْواءٍ باهِرَةٍ، كأَنَّهَا مِئَاتُ النُّجُومِ السَّاطِعَةِ. وَوَقَفَتِ الفَتَاتانِ بِغَيْرِ حركَةٍ تُحَمْلِقَانِ فِيهَا، فلَمْ يَسْبِقْ لَهُمَا رُؤْيَةُ جَواهِرَ فِى مِثْلِ ذَلِكَ الجَمالِ.

وعِنْدَمَا وَجدَ القَزَمُ الأخْتَيْنِ تتأمَّلانِ الأحْجارَ الثَّمِينَةَ فى إعْجابٍ ودَهْشَةٍ، انْدفَعَ بِسُرْعَةٍ يجْمَعُ كَنْزَهُ، ويضَعُهُ داخِلَ حَقِيبَتِهِ لكِنَّهُ عِنْدَما حاوَلَ حَمْلَ الحَقِيبَةِ، أوْ حَتَّى جَذْبَها خَلْفَهُ، تعذَّرَ عليْهِ ذَلِكَ، كأنَّما فَقَدَ مُعْظَمَ قُوَّتِهِ، فاكْتَفَى بأنْ جَلَسَ فوْقَها، وأدارَ ظَهْرَهُ لِلأخْتَيْنِ.

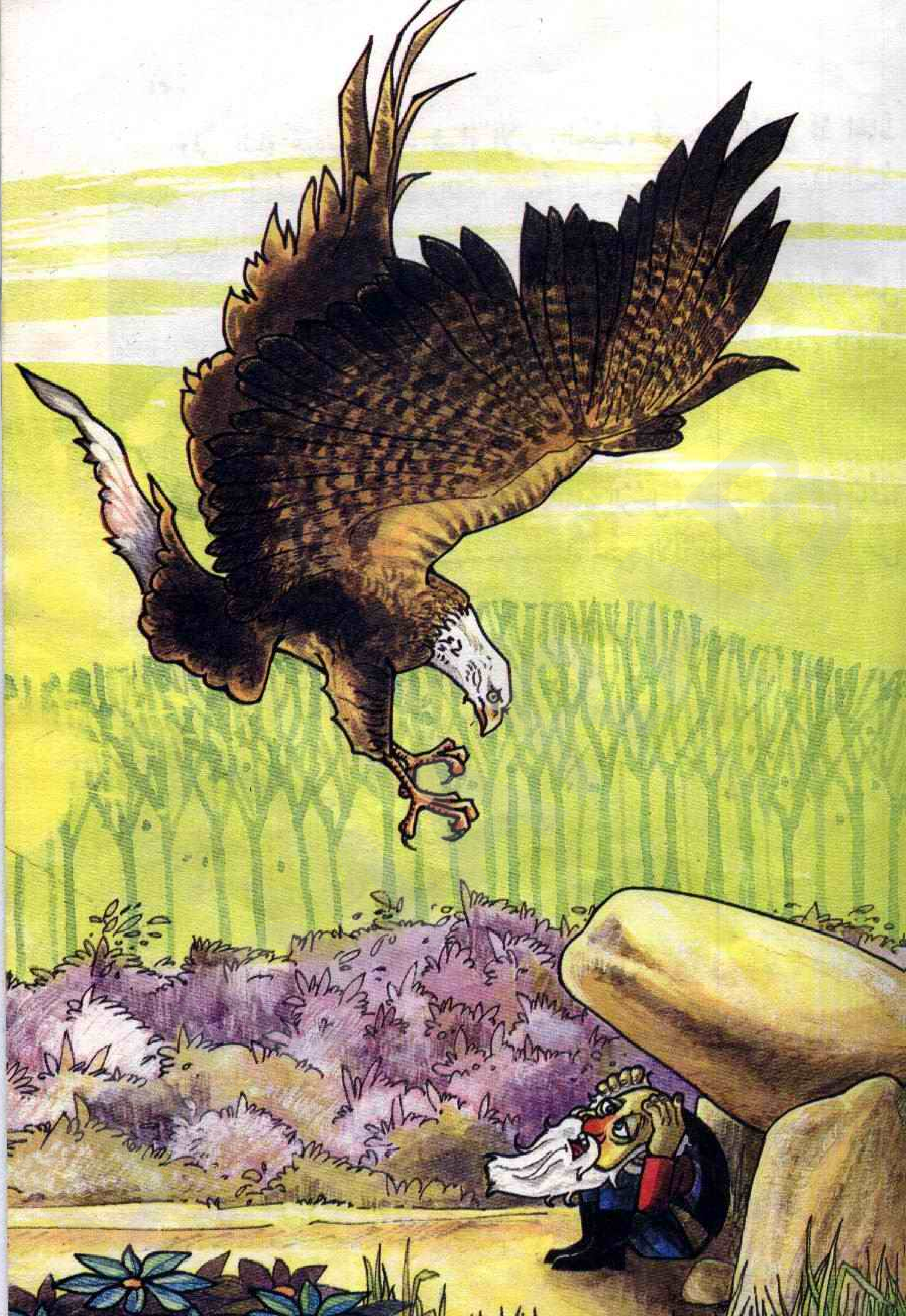
كانتْ زَهْرَةُ ووَرْدَةُ قَدِ اعْتادَتا مِنْهُ ألَّا يَشْكُرَهُما عَلَى مَعْرُوفٍ تُقدِّمانِهِ إلَيْهِ، فلمْ تَتَوقَّعْ أيَّتُهما أنْ تَسْمَعَ مِنْهُ كَلِمَةً طَيِّبَةً، لكِنَّ وَرْدَةَ هَمَسَتْ لِأخْتِها: «كُلَّما قابَلْنا هَذَا الرَّجُلَ، أجِدُ قُوَّتَهُ تَضْعُفُ فِي كُلِّ مَرَّةٍ عَنْ سابِقَتِها».

وبِرَغْمِ صَوْتِها الخَافِتِ، فَقَدْ سَمِعَها القَزَمُ، فالْتَفَتَ إليْهِمَا، وقدْ تَحَوَّلَ لَوْنُ وجْهِهِ إلَى الأحْمَرِ القُرْمُزِيِّ بِسَبَبِ شِدَّةِ الغَضَبِ. وأخَذَتِ الكَلِماتُ غيرُ اللاَّئِقَةِ تَتَناثَرُ مِنْ فَمِهِ، مُتَّهِمًا الفَتاتَيْنِ بِكُلِّ سُوءٍ.

***

وسَارعَتِ الأخْتَانِ فِي طَرِيقِهِما إلَى القَرْيَةِ، وقَدْ شَغَلَهُما هَذا التَّغيُّرُ الذِى لاحَظَتاهُ علَى قُوةِ الرَّجُلِ ضَئِيلِ الحَجْمِ، حتَّى إنه اضْطُرَّ إلى الاكْتِفاءِ بالجُلوسِ غَيْرَ قَادرٍ عَلى تَحْرِيكِ حَقِيبَةِ مُجَوهراتِهِ مِنْ مَكانِها:

كَما أثَارَ انْتِباهَهُما، كَثْرةُ حَشَراتِ النَّحْلِ الَّتى كانَتْ تَرُوحُ وتَجِيءُ فى طَرِيقِهِما، فَقَالَتْ وَردةُ: «لا شَكَّ أنَّ زُهورَ شَجَرةِ فاكِهَةٍ قَدْ تفتَّحت بالقُرْبِ مِنْ هُنَا» عِنْدئذٍ أشارَتْ زَهْرةُ إلَى مِئاتٍ مِنَ النَّحْلِ قَدْ تكدَّسَ بعْضُه فَوقَ بَعضٍ، مُعلَّقًا فى فَرْعِ شَجَرةٍ، وقالَتْ: «بَلْ هِىَ خَليةُ نَحلٍ جَدِيدةٌ، سَتَبدأُ حياتُها مِنْ هُنا».



وفى أثْناءِ عَودتهِمَا بَعْد شِراءِ الإبَرِ والخَيْط، فُوجِئَتا بالنَّحْل قَدْ أحَاطَ بالقَزَم، يلْدغه هُنا وهُناكَ، والقَزَم يَصيحُ كالمَجْنونِ: «سَيقْتُلنى هَذا النَّحلُ الكَسولُ، نحلٌ لاَ عَسَل عِنده، ويُريدُ قَتْلى!!» وفَهِمتِ الأخْتانِ أنَّ القَزم حَاوَل أخْذَ بَعْض العَسَل مِنْ خَليَّةِ النَّحل الجَدِيدةِ، وهُوَ لا يَعْرفُ أنَّ النَّحْل لَمْ يَبْدأ مِنْ بَعْدُ فى صُنْع أقْراصِ الشَّمْعِ الخَاصَّةِ بمَسْكَنِه الجديدِ، فانْقضَّ عَليهِ النَّحلُ يَلْدغهُ، مُدافِعًا عَنْ نَفْسِه.

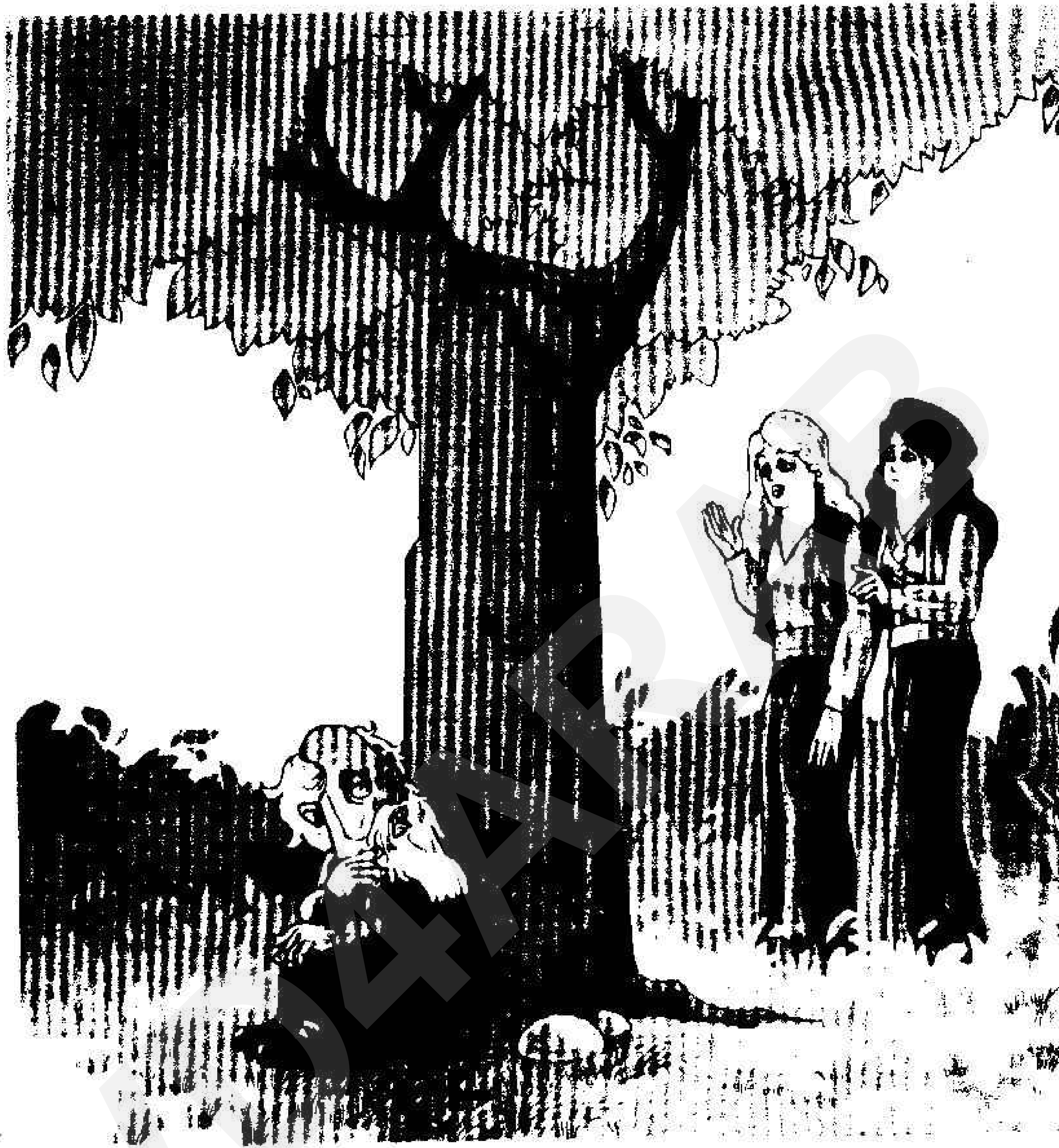
وقَبْل أنْ تُفكِّر الأخْتانِ فى وَسيلَةٍ لإنْقاذِ الرَّجُل، صَاحَ بِهِما: «إيَّاكُما والتَّفْكير فِى مُساعَدِتى، يكْفينِى ما فَعلْتُماه حتَّى الآنَ بِلِحْيَتِى، ابْتعِدَا عنِّى أيَّتُها الشِّرِّيرتَانِ!»

فى تِلْكَ اللَّحْظَةِ، حَدثَ شَىْءٌ مُفاجِئٌ، جَعَلَ الكَلِماتِ تَتَجمَّدُ على شَفتَى القَزَمِ، والفَزَعُ يُطِلُّ مِنْ عَيْنَيْهِ.

لقدْ سَمِعَ الجَمِيعُ صوْتَ زَئِيرٍ مُخيفٍ، ثُمَّ خَرجَ مِنْ بيْنِ الأشْجَارِ المُجَاوِرَةِ دُبٌّ أسْوَدُ كَبيرٌ، تَقدَّمَ نحْوَهُم بِسُرْعَةٍ.

تَرَكَ القَزَمُ حَقِيبَةَ مُجوْهَراتِهِ وَماسَاتِهِ، وَقفَزَ صَارِخًا فى رُعْبٍ شَدِيدٍ وقدْ تَغيَّرَ لَوْنُ وَجْهِهِ الَّذِى كانَ أحْمَرَ مِنَ الغضَبِ إلَى اللَّوْنِ الأبْيَضِ الشَّاحِبِ بِسَبَبِ الخوْفِ. وقبْلَ أنْ يجِدَ القَزَمُ وقْتًا للْهُرُوبِ، كَانَ الدُّبُّ قَدْ وَصَلَ إليْهِ، ورفَعَ كَفَّهُ الضَّخْمَ، ذَا المَخالِبِ القَاتِلَةِ، فوْقَ رأْسِهِ.

وفى صَوْتٍ مُضْطَرِبٍ، ركَعَ القَزَمُ أَمامَ الدُّبِّ، وأخذَ يتَوسَّلُ إليْهِ قائِلًا:



«أيها السَّيِّدُ الدُّبُّ، اصْفَحْ عَنِّى. سَأُعِيدُ إِلَيْكَ كُلَّ أَموالِكَ، وأَمْنَحُكَ أَيْضًا
كُلَّ كُنُوزِى، أُنْظُرْ إِلَى هَذِهِ الحَقِيبَةِ، إِنَّها مَمْلوءَةٌ بِالمَاسَاتِ والأَحْجَارِ

الكَرِيمَةِ، سَتَكُونُ كُلُّهَا لَكَ إذا أبْقَيْتَ عَلَى حَيَاتِى، لنْ تَشْبَعَ بِالْتِهامِ شَخْصٍ هَزِيلٍ مِثْلِى! اتْرُكْنِى وَخُذْ هاتَيْنِ البِنْتَيْنِ، فَتَتَمَتَّعَ بِوَجْبَةٍ شَهِيَّةٍ، وَتُخَلِّصَ العَالَمَ مِنْ سُوءِ أدَبِهِمَا».

لَكِنَّ الدُّبَّ لَمْ يُلْقِ بَالاً إلَى كَلِماتِ القَزَمِ، وَهَوَى بِكَفِّهِ الهَائِلَةِ على المَخْلُوقِ الشِّرِّيرِ، وَلَطَمَهُ لَطْمَةً وَاحِدَةً قَوِيَّةً، جعَلَتْهُ يَطِيرُ فى الهَوَاءِ عَلَى شَكْلِ قَوْسٍ كَبِيرَةٍ، وَيَخْتَفِى عَنِ الأنْظارِ تَمامًا، ولَمْ يَرَهُ أحَدٌ بعْدَ ذَلِكَ أبَدًا.

لَمْ تفْهَمْ وَرْدَةُ وَزَهْرَةُ ما سَمِعَتا، وَمَلأهُمَا الخَوْفُ، فأمْسَكَتْ كُلٌّ مِنْهُمَا بِالأُخْرَى، وَقَدْ أغْلَقَتا عُيُونَهُما، وكانَتَا عَلَى وَشْكِ العَوْدَةِ إلَى البَيْتِ جَرْيًا، لَكِنَّهُما سَمِعَتَا صوْتًا مألُوفًا يَقُولُ لهُمَا فى رِقَّةٍ: «يَا وَرْدَةُ.. يا زَهْرَةُ.. أنتُما فى أمانٍ.. افْتَحا عُيونَكُمَا، هَلْ نَسِيتُما صَدِيقَكُمَا الَّذِى لازَمَكُما خِلَالَ لَيالِىَ الشِّتَاءِ الطَّوِيلَةِ؟».

وعِنْدَمَا فَتَحَتْ وَرْدَةُ وَزَهْرَةُ عُيونَهُما، لَمْ يُشاهِدَا دُبًّا، بَلْ فَتًى رَشِيقًا وَسِيمًا، يرْتَدِى ملابِسَ مُطَرَّزَةً بِخُيُوطِ الذَّهَبِ، وَجِلْدُ الدُّبِّ مُلْقًى على الأرْضِ تَحْتَ قَدَمَيْهِ.

قَالَ الفَتَى الوَسِيمُ للبِنْتَيْنِ، وقَدِ انْتابَتْهما دَهْشَةٌ شَدِيدَةٌ: «أنْتُمَا تعْرِفانِى فى شَكْلِ الدُّبِّ الأسْوَدِ، الَّذِى صادَقْتُماهُ طَوالَ أيَّامِ الشِّتاءِ، أنَا أمِيرُ هٰذِهِ البلَادِ، وهٰذا القَزَمُ سَاحِرٌ شِرِّيرٌ، كانتْ قُواهُ السِّحْرِيَّةُ تَكْمُنُ فى لِحْيَتِهِ الطَّوِيلَةِ، لَقَدِ اسْتولَى عَلَى مُعْظَمِ أمْوالِى وَكُنُوزِى، وعِنْدَما أخَذْتُ فى



مُطاردَتِهِ داخِلَ الغابَةِ لأسْتَرِدَّ ثَرْوتِى ، حَوَّلَنِى إلَى دُبٍّ مُتوَحّشٍ ، لكِنَّ قوتَهُ كانتْ تَضْعُفُ كُلَّما صارَتْ لِحْيَتُهُ أقْصَرَ، والفَضْلُ لَكُمَا فى هَذا، فَقَدْ قَصَصْتُما لِحْيَتَهُ ثَلاثَ مرَّاتٍ، بِدَافِعٍ مِنْ نُبْلِ أخْلاقِكُما، وحُبِّكُما لِمسَاعَدةِ الآخرِينَ. وبِهَذَا اسْتَطَعْتُما تَحْرِيرِى من قُوَّتِهِ الشِّرِّيرَةِ، وعنْدَما تَغَلَّبْتُ عليْهِ الآنَ، زالَ عَنِّى كُلُّ أثَرٍ لِقُوَّتِهِ وسِحْرِهِ، وعُدْتُ كما كُنْتُ، لقدْ نالَ عِقابَهُ الَّذِى يَسْتَحِقُّهُ ».

* * *

وعَادَ الثَّلاثَةُ مَسْرُورِينَ إلَى بيْتِ زَهْرَةَ وَوَرْدَةَ، وأخْبَرَ الشَّابُّ أُمَّهُما بِأنَّهُ الأمِيرُ الَّذِى اخْتَفَى مُنْذُ عِدَّةِ أشْهُرٍ. ثمَّ قالَ لَها : « لَنْ أعودَ بعْدَ اليَوْمِ ضَيْفًا عَلَيْكُنَّ، بَلْ سَأُصْبِحُ مِنَ الآن ابْنًا لَكِ، لأنَّنِى أُرِيدُ أنْ تكُونَ وَرْدَةَ زَوْجَتِى ».

ثُمَّ الْتفتَ إلى زَهْرَةَ وقالَ : « وأخِى يَبْحَثُ عنْ زوجَةٍ مُخْلصَةٍ مِثْلِكِ يا زَهرةُ، وسَنَذْهَبُ لِنَعِيشَ جَمِيعًا فى قَصْرِنا الكَبِيرِ».

وعادَ الأمِيرُ إلَى قَصْرِهِ. واسْتَرَدَّ كنزَهُ العَظِيمَ بَعْدَ اخْتِفاءِ القَزَمِ ، وأقامَتْ جَماهِيرُ الشَّعْبِ احْتفالاتٍ رائِعَةً فى كُلِّ أنْحَاءِ البِلادِ، ابْتِهاجًا بعوْدَةِ أمِيرِهِم المَحْبُوبِ، وَزَواجِهِ مِنْ وَرْدَةَ، وزَواجِ أخِيهِ مِنْ زَهْرَةَ.

وعاشَ الجَمِيعُ فى سعادَةٍ وهَناءٍ، يُظَلِّلُهُمُ الحُبُّ، والرَّغْبَةُ فى إسْعادِ كُلِّ النَّاسِ.

أسئلة فى القصة

١ - لماذا أثار حديث «زهرة» حول القزم قلق أمها وأختها «وردة»؟
٢ - ما الفرق بين «زهرة» و«وردة» فى مدى ثقتها بالآخرين؟
٣ - كيف اكتسب الدب ثقة الأختين؟
٤ - لماذا انقلبت سعادة الفتاتين بإنقاذ القَزَم من جِذع الشجرة إلى شعور بالأسف؟
٥ - «أشكر الله أن أعطانى بنتين لا تترددان فى صنع الخير ومساعدة الآخرين».
من قالت هذه العبارة؟ ولمن قالتها؟ وما المناسبة التى قيلت فيها؟
٦ - كيف كانت السمكة ستتسبب فى غرق القَزَم؟
٧ - كيف أنقذت «زهرة» القَزَم من الغرق؟
٨ - لماذا غضب القَزَم من «زهرة»، بعد أن أنقذته من الغرق؟
٩ - كيف استطاع النَّسر الإمساك بالقَزَم؟
١٠ - ماذا فعلت البنتان لإنقاذ القَزَم من النَّسر؟
١١ - كم مرة قصت «زهرة» لحية القَزَم؟ ولماذا قامت بقصها فى كل مرة؟
١٢ - ماذا لاحظت زهرة على قوة القَزَم بعد إنقاذه من النَّسر؟
١٣ - كيف تغلب الدب على القَزَم الشرير؟
١٤ - من هو الدب فى الحقيقة؟
١٥ - ما سر قوة القَزَم؟
١٦ - كيف كان نبل أخلاق البنتين، سببًا فى تحرير الأمير من قوة القَزَم الشريرة؟



رقم الإيداع	١٩٩٩/٧٩١٥
الترقيم الدولى	ISBN 977-02-5843-1

٧/٩٩/٣٩ طبع بمطابع دار المعارف (ج . م . ع)